حق الفلاح على الشباب

بقلم الآنسة ابنة الشاطئ

ليس الشباب فى حاجة إلى أن أحدثهم عن شقاء الفلاح وأعلن مأساته إليهم، فالفلاحون يعلنون عن مأساتهم بأنفسهم ، و يعرضونها صارخة سافرة فى وجوههم الذليلة وعيونهم الباهته وأجسامهم الشاحبة المكدودة التى تنثر على صفحة الوادى الأمين وتعمل فى مزرعة الذهب فى كلال و إعياء .

لست إذن أكتب اليوم عن شقاء الفلاح ، و إنما أكتب لأذكر الشباب بحق الفلاح عليهم وهو الانسان الشقى ، والمواطن العامل والأخ المتعب المريض .

لقد أنشئت وزارة الشئون الاجتماعية لتصحح أخطاء الماضى ... ... تلك الأخطاء التى انحدرت الينا من أجدادنا الأولين ، ثم ما زالت تسافر متنقلة فى القرون حتى انتهت الينا ثقيلة مرهقة ، تؤذى كرامتنا الإنسانية ، وتثقل خطانا فى العهد الجديد .

أنشئت وزارة الشعب ، ومن حق الفلاح عليها أن تهيئ له البيئة الصالحة لمعيشته كإنسان ومن حقه عليها أن تجاهد فى إصلاح قبور الأحياء وتصحح أخطاء القرية لكى تصبح أهلا لمعيشة المنتج الأول . ولكن هناك شيئا آخر لا تستطيع الوزارة أن تعمله ولا يجوز لنا أن نطالبها به ، لأنه من عمل الشباب . فمن حق الفلاح على مواطنيه أن يحاربوا ذله وشقاءه ، وأن يمحوا الظلام الذى ران على نفسه وعقله وقلبه ، لكى يعدوه للاندماج فى تلك الحياة الطيبة التى نطالبها له ، والتى سنثابر على المطالبة بها فى عزم و إلحاح .

إن أكثر الشبان قد انحدروا من أصلاب الفلاح ، ولهم جميعا صلة بالريف ، ولهم بين اهله أهل وأصدقاء وأقارب وأصهار . و إذا كانت الحكومات المصرية مسئولة عن الشقاء الريفى فالشبان أيضا عن ذلك مسئولون ، بل إن نصيبها من المسئولية أخف من نصيبهم فقد رضوا أن يعيش بينهم ملايين من مواطنيهم عيشة ذليلة تأباها الانسانية وسمحت لهم

نفوسهم أن يغفلوا عن شقاء هؤلاء المواطنين ، وإن أحدهم ليمنح الحيوان من عطفه ما لا يمنحه أخاه الانسان ، وإن أحدهم ليثور لكلب جائع أو دابة مرهقة ، ثم لا يهزه شقاء هؤلاء المواطنين التعساء !

والآن ما ذا يملك الشبان للفلاح ؟

إنهم يملكون له خيرا كبيرا ، ولكنهم لن يفعلوا له شيئا اذا لم يفهموا واجبهم نحو الفلاح وتمتلىء نفوسهم بالرغبة فى القيام به .

وهذا الواجب ذو ناحيتين : الأولى تعاونية تتجه الى تنظيم جهود الشباب وتوجيهها توجيها صالحا نحو خدمة الوطن . والناحية الثانية فردية بحته ، تتجه الى البذل الشخصى والاتصال المباشر والجهد الفردى لمحاربة الشقاء والذلة والمرض فى الريف .

أما الناحية التعاونية ، فلا بد من قيام هيئة عليا من شباب الجامعة ، تنظم جهودهم وتجمع ما تفرق من شملهم ، وتستغل نشاطهم لإنهاض الفلاح . وهى تبدأ من نادى الجامعة وتتجه إلى تكوين فرق لخدمة الاجتماعية من أبناء كل مديرية ، وتوجههم نحو الدراسة الإقليمية للناطق ، ثم تستعمل نفوذها وقوتها المعنوية لإذاعة تقاريرهم ومقترحاتهم ، وإبلاغها الى الرأى العام .

هذا هو الواجب التعاونى للشباب ، وهو قائم على الاتحاد والتعاون والتنظيم ، أما الواجب الفردى فيكون بجهود كل فرد فى قريته خاصة ، وهو قائم على البذل الشخصى والاتصال المباشر . والشباب الذى يغزو القرية ليبعث فيها النور والحياة لا يعتمد على دروس معدّة أو كتب مؤلفة ولا يلقن الريفيين دروسا نظرية فى النظافة والإيمان ، وإنما هو صديق ناصح ، يرى الشقاء فيثور له ، ويبصر الجهل فيجأربه ، ويلمح الانحطاط فيصلحه : هو يختلط بالفلاحين ويبث فيهم مبادىء الحياة الصالحة دون أن يفجعهم فى معتقداتهم ، بل يأخذهم بالرفق واللين ويصطنع لذلك أسلوبا هو مزيج من الرفق والحزم والحنان .

إننا ننكر على الفلاح خشونته وذلته وقذارته ، وننسى أن الانسان لا يهتم بالكرامة إذا هان أمره عند نفسه وسلب الشعور بإنسانيته .

يجب أن تقوم الصلة بيننا وبين الفلاح على الحب والصداقة والعطف فلا نتعفف عن مصاحبة الفلاحين والانحدار الى عالمهم الساذج لكى نبعث فيهم الشعور بإنسانيتهم .

إن فى القرى كثيرا من الموظفين ، كان المنتظر أن يكونوا عنصرا يهذب الحياة الريفية ويسعد الفلاح ، ولكن حال بينهم و بين ذلك احتفاظهم لأنفسهم بوقار كاذب متكلف وهيبة حكومية مصطنعة .

وأكثر الشباب يخرجون من القرية ليتعلموا فيصبحوا غرباء عنها وعن أهلها ، وتنقطع صلتهم بالأرض الطيبة التى أنشأتهم ، والفلاح الكريم الذى انحدروا من أصلابه .

إننا اليوم نفتتح عهدا جديدا ونرقب الغد فى ثقة وتفاؤل كبير ، فلعلنا لا نخدع أنفسنا فنوهمها أن فى استطاعتنا تحقيق آمالنا الطوال العراض ، و بين مواطنينا هذه الملايين المريضة التعسة .....

ألا فلتتجه جميعا إلى محاربة الذلة التى فرضت على الفلاح وأفقدته الثقة فى نفسه وسلبته الشعور بكرامته ، و بعدئذ يجوز لنا أن نهجس بالأمل فى النهضة المرجوة ، وندير فى أذهاننا تلك الحياة الجديدة التى نطمح إلى تحقيقها فنصل بين مجد ماضينا وعظمة مستقبلنا المرجو .....

ألا فلنحترم الشقاء فى إخواننا المواطنين ، وانرد اليهم شعورهم بإنسانيتهم حتى تبرأ مصر من هذه الأخطاء التى تثقل خطاها فى العهد الجديد ؟

ابنة الشاطئ